

## التوبة والاستغفار

أيها القارئ الكريم:

هل فكرت يوماً في سرِّ وجودك وسبب بقائك؟

صفحة الكون تمتد أمام عينيك، كلُّ ما فيها يخاطبك ويحدثك فهل أدركت

لغة النعم وفهمت خطابها؟

أنت تشرب الماء عذباً فراتاً فهل سألت نفسك كيف جاء إليك؟

بين يديك ألوان من الأطعمة هل فكرت يوماً كيف تعددت ألوانها واختلف

مذاقها مع أنها تنبت في أرضٍ واحدة وتسقى بماء واحد؟

إنك مدعوٌّ إلى التفكير والتدبر، في نفسك وفيما حولك ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ

الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ

أُنثَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤﴾ وَفِي

الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ

صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴿١﴾

أنت مرتبط بنعم ينشدها وجودك وتطلبها حاجتُ: فأنت طالبٌ. ولتطلب

بابه وأسبابه. والرسول ﷺ يعلمك حتى لا تضل، أو تطلب الأمر من غير بابه.

عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: « كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال لي: « يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْتَبْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » (١)

وفي رواية غير الترمذي: « احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ. تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْتَبْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ التَّصَرُّعَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » (٢)

إنك في حاجة دائماً أن تفرّ إلى الله، مُخْطِئاً كُنْتَ أَمْ مُصِيباً، إِنْ كُنْتَ مَخْطِئاً طَلَبْتَ الْمَغْفِرَةَ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ؟ وَإِنْ كُنْتَ مُصِيباً شَكَرْتَ اللَّهَ الَّذِي وَفَّقَكَ لِيَزِيدَكَ مِنْ نِعْمِهِ وَيَمُدِّكَ بِفَضْلِهِ ﴿ وَإِذْ تَأَذَّرَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ

وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ » (٣)

إنك تنتقل بحاجتك من مرحلة طفولتك إلى شبابك إلى رجولتك وشيخوختك، وإن شئت اختصاراً واقعاً، فمن مرحلة حياتك إلى موتك إلى بعثك..

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه أحمد.

(٣) إبراهيم : ٧ .

## كان خلقه القرآن

أنت في جميع حالاتك طالب. فما السبيل لسد حاجاتك في جميع مراحلك ؟  
إنك في حاجة إلى الزاد في كل مرحلة، فمن أين يأتيك ؟ وكيف تُحافظ عليه  
مع طول السفر وبعُد الطريق ؟

اقرأ معي وتدبر ﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا  
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ  
عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٤٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴿<sup>(١)</sup>  
﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٤٥﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>

الباب - إذن - هو باب الاستغفار والتوبة ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ

نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤٦﴾ ﴿<sup>(٣)</sup>

إنه باب لتأمين أمرِك في المراحل كلها ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ  
كَانَ غَفَّارًا ﴿٤٧﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٤٨﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ  
وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٤٩﴾ ﴿<sup>(٤)</sup>  
﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا  
إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴿<sup>(٥)</sup>

(١) هود : ٤٣.

(٢) هود : ٩٠.

(٣) النساء : ١١٠.

(٤) نوح : ١٠-١٢.

(٥) هود : من الآية ٦١.

ولكن ماذا كان حال رسولك ﷺ بالنسبة للتوبة والاستغفار وقد كان خلقه القرآن ؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » <sup>(١)</sup>  
وفي رواية مسلم عن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :  
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَوُوبُوا إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ » <sup>(٢)</sup>

### أخي القارئ الكريم:

التوبة والاستغفار سبيلك لتأمين أمرك بمرضات ربك. والتوبة لأصحاب المعاصي إقلاع عن المعصية، وندم على فعلها، وعزم على عدم العود إليها. وأداء الحقوق لمن لهم حق.

وحرص الرسول ﷺ على التوبة والاستغفار في اليوم مئة مرة - مع كونه معصوماً- يضع أمامك طريق الأسوة به، في إخلاص العبودية لله ذي الجلال والإكرام.

وقد استبان لك أن جميع أمرك مرتبط بمرضات ربك ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرَ الْعَمَلِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup>

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) آل عمران : ١٣٥.

والمعصوم ﷺ يعلمنا كيف نزرعُ إلى الله في كل وقت، ونفرُّ إليه دائماً ولا ننساه. والله - جَلَّ وَعَلَا - يقول: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١)

عن أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاريِّ خادم رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ (٢) وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ » (٣)

و في رواية لمسلم: « لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ - حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ - مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجْرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » (٤)

وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » (٥)

أخي القارئ الكريم:

اعصم نفسك دائماً بذكر ربك ومرضات خالقك؛ لتصونها من عدوها الذي

(١) النساء: ١١٠.

(٢) أي: عثر على موضعه، والمراد: صادفه من غير قصد.

(٣) رواد البخاري.

(٤) رواد مسلم.

(٥) رواد مسلم.

يأبي إلا أن يشاركك في طعامك وشرابك ومبيتك، فإذا سمعَ ذِكْرَ الله خرج ذليلاً مدحوراً، ينشد المبيت عند الغافلين، ويطلب الطعام عند اللاهين العابثين.

عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَيْتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَيْتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَيْتَ وَالْعَشَاءَ » <sup>(١)</sup>

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: « كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم طَعَاماً لَمْ نَضَعْ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيَضَعُ يَدَهُ. وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ طَعَاماً فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لَتَضَعُ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ جَاءَ بِهِذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهِذَا الْأَعْرَابِيَّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا » <sup>(٢)</sup>

### أخي القارئ الكريم:

هل عرفت كيف يصوئك ذكرُ الله ويحفظك؟ يحفظك من الشيطان عدوك الذي يتربصُ بك ويغتنم غفلتك.

اجعل توبتك إلى الله واستغفارك لذنبك أساساً في عملِ يومِك، فإن رسول الله - وهو المعصوم صلى الله عليه وسلم - كان يتوب إلى الله في اليوم مئة مرة.

(١) رواد مسلم.

(٢) رواد مسلم.

واحذر أن تدفعك معصيتك إلى الفرار مع اليائسين القانطين.

﴿ يَبْنَئِ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١)

﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (٢)

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَسْتَغْفِرُونَهُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣)

واحفظ قول ربك: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى ﴾ (٤)

اجعل التوبة والاستغفار من عمل يومك، وأنت في طاعتك واستقامتك أحوج ما تكون إلى الاستغفار والتوبة؛ حتى لا تركز إلى عملك وتنس فضل ربك. ولا تفرط في سبب من الأسباب التي أمر الله بها في تدبير شئونك والقيام بطاعة ربك.

واحذر أن يشغلك عاجل عن آجل، فإن فرطت فأنت مذنب، واطلب التوفيق من الله وأنت تؤدي واجبك؛ فإن « الإيمان ما وقر في القلب، وصدقه العمل »

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (٥)

ولا يكن أمرك - وقد أعطاك الله من فضله - كأمر أولئك الذين خدعتهم أنفسهم، وقادهم شيطانهم إلى ذكر أنفسهم ونسيان فضل الله عليهم، حتى قال

(١) يوسف : ٨٧.

(٢) الحجر : ٥٦.

(٣) المائدة : ٧٤.

(٤) طه : ٨٢.

(٥) مريم : ٩٦.

أحدُهم: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ ﴾<sup>(١)</sup>

فكان الجزاء: ﴿ حَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ

يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

أما منطق المؤمنين - وهم يرون نعم الله بين أيديهم، ورحمته تشملهم، ومعرفته تملأ قلوبهم - فهو منطق الشاكر المعترف بفضل الله، اليقظ في إجابته وهو يُمتحن ويختبر: ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۗ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>

نسأل الله أن يجعلنا منهم (آمين).



(١) القصص : من الآية ٧٨ .

(٢) القصص : ٨١ .

(٣) السمل : من الآية ٤٠ .